الجدائل ... وفارس الصباح

جدائل الظلام تملأ الدروب
تلقي بها يد المساء
تنسل في انسيابة رقطاء ،
من فرجة في الباب ، من شقوق حائط كئيب
تطل ، بابتسامة بلهاء
تصبها على الجدار
لزوجة تصيدُ كل بسمة على فم النهار ،
تظل في بيوتنا جدائل الظلام
طويلة ، غبراء ، في بريقها شحوب
ترعى جفوننا ، ولا تنام
تمتد في الدهليز تزرع النعاس
تجوس ، في البيوت ، دونما احتراس
تطوق الاعناق
فان تململت مدينتي ترد لحظة اختناق ،
وان تثاءبت تذب وطأة العناق ،
« تطوعت » احلامها بمشرق جديد
مسحورة جدائله
فتانة خمائله
يضمها في يوم عيد ...
وتسكت الاحلام عن حديثها المباح
اذا أطل ــ قبل مشرق الصباح ــ فارس الصباح ..

* * *

لم يأت فارس الصباح مرة ، ــ كما وعد ــ
مبكرا يفاجيء الجدائل الشوهاء بالحسام ، مثلما وعد ،
يجتثها ، ويمسح ابتسامها الصمغي عن جدراننا،
لم يأت ، مرة ، كما نراه في أحلامنا :
شلال نور يغمر الجبال والوديان
ينور الوجود ، حولنا ، ببسمة الحنان
لم يأت ، مرة ، ــ كما وعد ــ
بشمعة تضيء ليلنا الى الابد ...
... وتنثر الوعود ــ كلما أتى ــ يداه
تنسل في انسيابة رقطاء ، يا وعوده بلا عدد !
تنسل في الصباح، ــ بعد ان يضيع مشرق الصباح
وتسكت الاحلام عن رجائها المباح ــ
من فرجة في الباب ، من شقوق حائط كئيب ،
تطوق الاعناق ...

* * *

الشاعر الهجّاء زارنا ، وعاد من زمان ..
ألقى عصاه عند ملتقى جدائل الظلام بالصباح ،
فأمست العصا جديلة ينام في ظلامها الصباح !
وحدق الهجّاء في بيوتنا صمغية الجدران ،
وغاضت الاشعار في لسانه ، وراح ...

* * *

لو كنت أحسن الهجاء، ما رميت من يدي عصاي..
عساي بالعصا اذبُّ عن مدينتي جدائل الظلام
عساي بالعصا أزيح عن رقابها جدائل الوعود
لكنني بلا عصا ، ولست أحسن الهجاء ..
بقبضتي أود لو أزحزح الجدران
أو .. ليتني أسد كل فرجة في الباب
بثوبي المرقع القديم ..
عساي ، يا مدينتي، عساي ..
أسد هذه الشقوق في جدارنا الكئيب
فلا تعود
جدائل الظلام تملأ الدروب ..

* * *

أخشى اذا انتظرت، ان يموتَ ــ من ظمأ ــ أساي
ولست ، لست أحسن الرثاء ،
اذا انتظرت فارسا تنشق عنه الارض ذات عام
يجتزُّ من مدينتي جدائل الوعود والظلام
يعودُ ظافرا مخضب الحُسام ...
.. او شاعرا يجيد صنعة الهجاء يوقظ النيام..
فتجحظ العيونُ ، تنفض العنـــاكب التي تؤرخ القرون ..
وتمّحي الجدرانُ .

القدس — **أمين شنّار**